

مستلزمات الأمن اللغوي

د. حسنية عنزاز
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب واللغات والفنون
جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس
الجزائر

الملخص:

كثير الحديث عن الأمن اللغوي، ونحن لم نعهده في شقه الأول إلا حينما يتعلق الأمر بالحرب أو الجوع، فنقول: الأمن العسكري والأمن الغذائي، لما لهما من أهمية من أجل الحياة والاستمرارية، فتؤمن النفس غذائيا وعسكريا؛ لكن مصطلح الأمن اللغوي ظل الشائع السائد اليوم في أوساطنا اللغوية، ومع باحثينا كبارا أو مبتدئين.

فالكل يحاول أن يؤمن لغته ويحافظ عليها لكي لا تلوس عليها أقدام اللغات الأخرى، وتنتقل من لغة حية إلى عداد اللغات الميتة، ويبقى السؤال مطروحا، هل حققنا هذا الأمن اللغوي الذي طالما تحدثنا عنه، واجتمعنا لأجله، ووضعنا له خططا وتخطيطا؟ فهذا الأمن يشبه إلى حد بعيد الأمن العسكري الذي يحتاج إلى عسكر وعتاد وخطط وجاهزية وفطنة ويقظة وثقة وتضحية حينما تقتضي الضرورة ذلك، وحينما يؤثر للخطر وتعلن صفارات الانذار عنه.

إذن لا بدّ من كل هذه المواصفات، فهل هي نفسها التي نسلح بها؟ لنقول: أننا قد حققنا عمليا أمنا لغويا.

الورقة البحثية:

يعدّ الأمن اللغوي عنصرا مهما من عناصر الأمن الاجتماعي؛ لأن اللغة الواحدة الموحدة هي الرابط الأقوى بين فئات المجتمع الواحد، وهي وسيلة

التواصل والتفاهم بين أبناء الهوية الواحدة؛ لذلك فإنه لا هوية بلا لغة¹، والهوية التي تجمع العرب من المحيط إلى الخليج، أكدتها اللغة العربية، التي لولاها لضاعت المعالم، ومن هنا كان الحرص عند كثير من الأمم على العناية بلسانها، وتقويتها من كل ما يشوبه، والواقع أن ما آكل إليه اليوم حالنا أشبه بارتداد عن الاهتمام باللغة العربية نطقاً وكتابةً، بعد أن كان الإقبال عليها هو الأصل، ولذا وجب علينا الاهتمام بها، بل رسم معالم واضحة مستقبلية تحفظ لها قواعدها وترمم لنا أركانها.

إذن لا بد من أمن لغوي حتى لا تضيع منا هذه اللغة، ولنحميها من الدمار والحوادث اللغوية الدخيلة، إنه مطلب ضروري حرصت عليه الكثير من الأمم والشعوب، فدعمت أمنها اللغوي، وذلك بتحسينه من الاقتحامات والخروقات؛ لدحر الدخيل المتنافي لطبيعة تكوينها²، ومن الدول من اعتبرت أمنها اللغوي عنصراً مهماً في منظومة أمنها القومي³، لنكن... نحن كذلك، لقد حان الوقت لنسترجع الثقة في أنفسنا وفي لغتنا ونحقق الأمن للغتنا والأمان لنا، ويبدو لي - قبل الحديث عن الأمن اللغوي - أن ثمة مهددات تهدده، وإدراكها ودراستها نخلص إلى وسائل الوقاية، وقد أسميتها المستلزمات. فما هي؟

أقصد بالمستلزمات وسائل الوقاية والحماية من المخاطر التي تحيط باللغة، وهي متطلبات الأمن اللغوي. أما الأمن اللغوي: من الأمان: أمانة وأمن⁴، ومعناه الاطمئنان، ومبالغته أمان: رجل صوام.. حتى قالوا من حمام مكة، وقال الله تعالى: ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾⁵، وقال تعالى: ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم آمنة نعاساً يغشى طائفة قد أهملتم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله ﴾⁶، والأمن هو الطمأنينة وذهاب الخوف والسلامة من الشر، وأمن الرجل اطمأن ولم يخف، وأمن الرجل على كذا: وثق به، اطمأن إليه، أو جعله آميناً عليه، قال تعالى: ﴿ هل آمنكم عليه إلا كما أمتكم على أخيه من قبل ﴾⁷ فاللغة

أمانة؛ ولا بدّ من المحافظة على هذه الأمانة، بأمنٍ على غرار ما فعل أسلافنا في العصور الأولى للدولة الإسلامية حينما عمّموا الأمن اللغوي بسُلطة العلم والمعرفة، حيث وقعت الحكمة على لسان العرب بالأصالة اكتساباً، وبلاستعراب تعلماً وقناعة، فكانت العvisية العربية مفتاح الحضارة؛ كما كان الأمن اللغوي حضارة وبناء وتعميراً، وكان الأمان أساس الملّك⁸.

ويمكن تعريف مفهوم الأمن اللغوي بالآتي:

هو إحاطة اللغة بسياج من الحماية الرسمية (من خلال القرارات السيادية الوزارية والإدارية) وغير الرسمية المعنوية والمادية بوضع الأنظمة والضوابط الملزمة للأفراد والمؤسسات التي من شأنها أن تصد كل التهديدات والاعتداءات التي تستهدف أمن اللغة العربية وسلامتها بقصد أو بغير قصد، سواء أكانت هذه التهديدات أو الاعتداءات داخلية أم خارجية⁹.

والأمن اللّغويّ (la sécurité langagière) نظرية تتعلق بموضوع استعمال اللغة وحمايتها بشتّى الأساليب، ومختلف الطرق المنهجية، غير أن هذا الأمن تهدّده مظاهر الاختراق اللغوي غير أن وسائل الأمن الغوي التي تسهم في سلامة اللغة العربية وحمايتها موجودة وممكنة التطبيق، فما هي هذه المستلزمات:

- مستلزمات الأمن اللغوي:

__ تفعيل العربية في التربية والتعليم: تحتاج العربية في هذين الميدانين إلى نظرة جديدة ثاقبة في المنهج وطرق التدريس، وإذا أردنا فعلاً أن نفعل العربية في التربية والتعليم علينا إلزام المتعلمين بتعلمها وإتقانها في المراحل الأولى وتأخير تعليم اللغات الأجنبية إلى ما بعد التحكّم في آليات لغته، ومن ثمّ نطلق له حرية الاختيار في اللغات الأجنبية من أجل اكساب المتعلّمين المهارات اللغوية إرسالا واستقبالا، وبالتالي تنمية أساليب التفكير لديهم بمنهجية بعيدة عن التشويش - وأقصد بذلك أنه يدرس بلغة ويفكر بلغة أخرى - .

ومن أجل التمكين الفعلي للعربية في التربية والتعليم يجب غرس روح المواطنة اللغوية، فالمدرسة دور تروسيخي في إعطاء المعارف العلمية، وفي دفع التلاميذ لخدمة مجتمعاتهم، والاهتمام بالمواطنة الصالحة تولي اللغة الرسمية/ اللغة الوطنية/ الثقافة الوطنية كل الأهمية، وتجسيد المواطنة اللغوية، التي هي استعمال اللسان الوطني في كل المؤسسات والأماكن العامة، وفضاء المصالح الإدارية. وإن المواطنة اللغوية فضاء لغوي ممتد تأخذ فيه اللغة الرسمية النصيب الأوفى انطلاقاً من أن تربية المواطنة تحصل أولاً باللغة الرسمية، وعدم احتقار الوطنية، وتعزيز الثقافة الوطنية بنقل المفاهيم الوطنية للطفل، وراث الواعي بتاريخ الوطن وإنجازاته، والاهتمام بمختلف الأنشطة الثقافية، وخاصة الثقافية التي تسج في الغالب علاقة مميزة بين المواطنين، بتحسيهم أنه جزء من ذاتهم "فالعلاقة بين مفهوم المواطنة ومفهوم الثقافة الوطنية هي علاقة مشاركة إبداعية في خلق فضاء وطني جديد متجدد يتجنب العزلة والانكفاء ويحارب التعصب والشوفينية، ويؤسس للاندماج والوحدة على قاعدة الديمقراطية واحترام التعدد وصيانة حقوق الإنسان¹⁰". وهكذا فإن المواطنة اللغوية لا تحي مفاهيمها المرتبطة بالحقوق أياً كانت، بل تحتاج إلى تجسيد فعلي في حق التلميذ في تعلم لغته، وحقه في استعمال لغته وإدخالها إلى منظومة اللغات الحية، وحقه في أن تدافع مؤسسات الدولة على نيل المرتبة التي تستحقها كلغة رسمية/ وطنية، وتسّن القوانين العاملة على احترامها.

— **حفظ الحقوق اللغوية للطفل:** حقوق الطفل معروفة، من بينها الحقوق اللغوية المستقاة من البيان الذي أصدرته اليونسكو عام 2007 بمناسبة الاحتفال بيوم اللغة الأم المصادف 21 فيفري من كل عام، وأكد البيان أن الحق اللغوي من ضمن حقوق الإنسان، وأن من حق كل طفل أن ينعم بلغة الاكتساب الأمومي، وبلغة التداول الجماعي، وبلغة التحصيل المعرفي¹¹ ومصطلح الحق يعني أن تتكفل الأنظمة باللغة الأم في كل أبعادها التعليمية، ولغة الطفل المعنية هنا هي اللغة العربية الفصحى.

إذن لا بد من حفظ هذا الحق للطفل، الذي من خلاله نحافظ على اللغة العربية، فقدما قيل: "التعلّم في الصغر كالنقش في الحجر" وقال الشاعر:

قد ينفع الأدب الأولاد في صغر وليس ينفعهم من بعده أدبُ
إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت ولا تلين لو ليّته الخشبُ

للطفل حقوق في تعلّم لغته الأم وتعلّم اللغات الأجنبية، لذلك لا بد من وضوح الأهداف العامة للمنظومة التربوية، بوجود برامج تعليمية تواكب آليات العصر ولا يتأتى ذلك إلا بتخطيط تربوي وسياسة لغوية واضحة المعالم.

اللغة جزء مهم من حياة الطفل وشعوره، واكتسابها يكون في البيت والمدرسة والبيئة، وكذلك في وسائل الإعلام، ولما للغة في هذه المرحلة من الخطر والأهمية، ولكون اللغة هي أجلى مظاهر الانتماء والهوية؛ كان لزاما أن تضبط الوسائل التي تؤثر في مستوى إدراك الطفل لها، وأن تُسنّ قوانينُ ويُعمل على تقديم اللغة تقدما فصيحاً صافياً، وهذا حق مشروع للطفل.

التعريب: هو استبدال اللغات الأجنبية السائدة في مختلف دواليب الدول العربية باللغة العربية، وبخاصة في التربية والتعليم. ولذا جاءت كلمة (التعريب) من عرب. وهذا ما تقوم به الدول العربية عن طريق المؤسسات التي وضعتها مثل المدارس، والجامعات، والمجامع اللغوية.

ومؤكد أنه من وسائل الأمن اللغوي العمل الجادّ لتعريب التعليم والعلوم المختلفة وتدريسها في مراحل التعليم قبل الجامعة ثم المراحل العليا. (مثل تجربة الجامعات السورية بتدريس علوم الطب والكيمياء والرياضيات الحديثة والفيزياء والجيولوجيا وعلوم الذرة والفضاء والطب النووي والصناعات الكيماوية والهندسة وغيرها بلغة عربية خالصة) فالعربية غير قاصرة في استيعاب العلوم وحضارة العصر، إنما القاصر عن التقدّم هم أهلها والناطقون بها.

وكذلك لا ننسى دور مجامع اللغة العربية في التشجيع على التعريب حيث رأى مجمع اللغة العربية في القاهرة أن: "للتعريب في عصرنا الحديث فوائد تلخص في غنى اللغة ب ذخيرة من الكلمات التي تعبر عن كل ظلال المعاني الإنسانية كما أنه يمدنا بفيض من المصطلحات العلمية الحديثة التي لا نستغني عنها في نهضتنا العلمية"، فضلاً عن عقد العديد من المؤتمرات والندوات ومنه المؤتمر العاشر للتعريب الذي عُقد في دمشق برعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تحت شعار "قضايا تعريب التعليم العالي في الوطن العربي" في 2002م، حيث خرج المؤتمر بمجموعة من التوصيات منها "الحرص على احتواء كل كتاب علمي منهجي على مسرد أجنبي عربي وعربي أجنبي يضم كل المصطلحات العلمية الواردة فيه، ووضع الكتب العربية التي طبقت التعريب بين يدي الجامعات والمؤسسات، ودعم الطباعة المعجمية وأبحاثها ومشروعاتها التي تخدم قضية التعريب كمشروع الذخيرة اللغوية ومشروع المعجم الصحفي العربي المعاصر ومشروع يقيس المصطلح وغيرها من المشروعات المعجمية¹².

الوعي اللغوي: إن الوعي اللغوي هي القيمة العليا للتاريخ الإنساني باعتباره ليس هو الحضارة المادية كمكان، وإنما هو الحضارة الروحية في كل زمان ومكان، فهو الذي يحررنا من أوهام عالقة في مخزون ذاكرتنا الجمعية، ويعمل على إثبات أن الوجود حقيقة جمالية ثابتة، وأن الأشياء لها وقعها وأن اللغة لم تكن عبثاً، بل لها صيغة تحريضية ترتبط بجدلية ما خلفه الأجداد، وما جادت به الأوقات. ولا جدال في أن النهوض العقلاني يتطلب وعياً لغوياً منفتحاً على حقائق ذاتية مستترة، أو مسكوت عنها، فبقدر ما ينمو الوعي اللغوي باللغة الوطنية تكبر الحضارة ونكبر فيها وبها، ولا غرو كذلك في أن كل أنواع الدراسات اللغوية التي تبحث في الوعي هي عملات إفصاح عن مستبطات النفس منطلقاً من أن جوهر الوجود هو الجوهر المعرفي للذات، وكانت معظم الشعوب تتخذ من الوعي اللغوي أبرز مقومات وجودها الروحي والمادي، والوعي بأهمية اللغة الوطنية هو الذي يضمن

الحوار سترسم المعالم الهويةية وتقوى والسعي لتكريس هذا الحوار عن طريق منظومة القيم التي تأتي من البيت والمدرسة. ومن هنا نقول أننا حققنا الأمن اللغوي.

الإحالات:

- 1 ينظر: أ.د. أحمد محمد الضبيب، نحو أمن لغوي، أعمال الملتقى العلمي " دور التعليم والإعلام في تحقيق أمن اللغة العربية" مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض: من 14-16 / 11 / 1435 هـ الموافق لـ 09 / 11 / 2014 م، ص 11.
- 2 ينظر: منير الحافظ، الأمن اللغوي وتحديات الحداثة، مجلة الموقف الأدبي _ مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق _ العدد 433 آيار 2007 م، ص 51.
- 3 ينظر: د. سعيد بن مسفر المالكي، الأمن اللغوي في المملكة العربية السعودية " النظرية والنموذج"، مجلة اللغة العربية آفاق فكرية، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 1432 هـ / 2011 م ص 15.
- 4 ينظر: ابن منظور، لسان العرب مادة (أمن).
- 5 112 / النحل.
- 6 154 / آل عمران.
- 7 64 / يوسف.
- 8 ينظر: أ.د. صالح حموش بلعيد، الأمن اللساني، أعمال الملتقى العلمي " دور التعليم والإعلام في تحقيق أمن اللغة العربية" مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض: من 14-16 / 11 / 1435 هـ الموافق لـ 09 / 11 / 2014 م، ص 60.
- 9 ينظر: أ.د. محمد علي الصامل، جهود المؤسسات الخاصة والأهلية في تحقيق أمن اللغة العربية، أعمال الملتقى العلمي " المرجع نفسه، ص 60.
- 10 الصافوط محمد، المواطنة والوطنية، ط1. المغرب: 2007، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، ص 71.
- 11- ينظر: صالح بلعيد، يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم، ص 89.
- 12- ينظر: د. زهير غازي زاهد، العربية والأمن اللغوي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن 2000 م، ص 14.
- 13- عبد العلي الودغيري، اللغة والدين والهوية. المغرب: 2000، مطبعة النجاح الجديدة، ص 157.